السنة السابعة عشرة وثلاث مئة

فيها خُلِع المقتدر، قال ثابت بن سنان: لمَّا كان يوم السبت لثمانٍ خلَون من المحرَّم خرج مؤنس إلى باب الشَّمَّاسية، ومعه جميعُ الجيش، وركب نازوك الوالي في جيشه من داره بالجانب الغربي وغلمانه في السلاح، فأتى دجلة ليعبر إلى مؤنس، فوجد الجسر مقطوعاً، فأقام إلى أن أُصلِح، وعَبر عليه، وخرج أبو الهيجاء بن حمدان إلى مؤنس أيضاً، فردَّ عليه الدِّيْنَوَر، وكان المقتدر عزله عنها، وكذلك جميع القواد صاروا إلى مؤنس، وانتقلوا إلى المصلَّى.

وشَحن المقتدرُ دارَه ومعه هارون بن غريب، وأحمد بن كيغلغ، والحُجَرية والرَّجَّالة، فلما كان آخر النهار انفَضَّ أكثرُ مَن كان في دار الخليفة من الرَّجالة وصاروا إلى مؤنس، ولما كان من الغد انفَضَّ الباقون إليه أيضاً.

وراسل مؤنسٌ المقتدرَ بأنَّ الجيشَ عاتبٌ منكرٌ لما يُصرَف من الأموال إلى الحُرَم والخَدَم، وأنَّهم يطلبون إخراجَ الحُرَم والخدم من الدار، وإبعادَهم، وأخْذَ ما في أيديهم، فكتب إليه رُقعةً بخطِّه منها:

أمْتَعَني الله بك، ولا أخلاني منك، ولا أراني فيك سوءاً، وإنِّي تأملتُ الحالَ التي خرج الأولياءُ إليها وتمسَّكوا بها، فوجدتُهم لم يُريدوا إلا صيانةَ نفسي ووَلدي، وإعزازَ أمري ومُلكي، واجتلابَ الخير والمنفعةِ لي، فبارك الله عليهم، وأحسنَ إليهم، وأعانَني على صالح ما أنويه فيهم.

فأما أنت يا أبا الحسن المظفَّر ـ لا خَلَوتُ منك ـ فشيخي وكبيري، ومَن لا أحولُ عن المَيل إليه والتوفُّرِ عليه، اعترض بيننا هذا الحادث أو لم يَعْترِض، وانتقضَ الأمرُ الذي يجمعُنا أو لم يَنْتقِض، وأرجو ألا تَشُكَّ في ذلك إذا صدقْتَ نفسَك وحاسبْتَها، وأزَلْتَ الظُّنونَ السيئةَ عنها، أدام الله حِراستَها والقُوَّةَ بها.

والذي خاض أصحابُنا فيه من أمر الحُرَم والخَدَم الذين يُخرَجون من الدار ويُباعَدون عنها، وتسقط رُسومهم في الخدمة ويُمنَعون منها، وتُبْتَزُّ نعمتُهم ويُحال بينهم

وبينها؛ فقولٌ إذا تَبَيَّنوه حقَّ تبيُّنِه، وتَصفَّحوه حقَّ تَصَفُّحِه: علموا أنَّه قول جافٍ، والبَغْيُ عليَّ فيه غيرُ مُستَترٍ ولا خافٍ ... وذكر كلاماً طويلاً ثم قال:

فأمَّا أنتم فمُعْظم نِعمتكم منِّي، وما كنتُ لأعودَ عليكم في شيءٍ سمحتُ لكم به، ونازوك فلا أدري من أيِّ شيءٍ عَتَبَ، ولا لأيَّةِ حالٍ استوحشَ واضطَرَب، فإنِّي لم أمنعْه من مُحاربة هارون ولا الانتصار منه، ولا أمرتُ بمَعونة هارونَ عليه، ولا أخذتُ له مالاً، ولا كفَفْتُ يده عما كان إليه.

وأما عبد الله بن حمدان فالذي أحفظه صَرْفُه عن الدِّيْنَوَر، فقد كان يَتهيَّأ إعادته إليها، أو تعويضُه من الأعمال ما هو أعظمُ منها، وما عندي لجميعكم إلا التَّجاوزُ والإغضاءُ، والرِّعايةُ والإبقاء.

وقبل هذا وبعده فلي في أعناقكم بيعةٌ قد وَكَّدتُموها على أنفسكم دفعةً بعد دفعة، ومَن بايعني فإنَّما بايع الله، ومَن نكث فإنَّما يَنكُثُ عهدَ الله، ولي عليكم أيضاً نِعمٌ وأياد، وصنائعُ وعَوارفُ آمَلُ أن تعترفوا بها، وتشكروها ولا تكفروها.

فإن رجعتُم إلى الحَسَن الجميل، وتلافيتُم هذا الخَطْب الجَليل، وفرَّقتُم جُموعَكم، وعدلتُم إلى منازلكم، وجريتُم في الخدمة على عوائدكم: كنتُم[1] بمنزلة مَن لم يَبْرَح من موضعه، ولم يأتِ بما أتى به، وإن أبَيْتُم إلا المُكاشَفةَ والمُخالَفةَ، وإيثارَ الفتنة وتجديدَ المِحْنَة؛ فقد ولَّيتُكم ما تولَّيتُم، وأغمَدْتُ سيفي عنكم، ولم أخرج من منزلي، ولم أُسلِّم الحقَّ الذي لي إلا كما خرج عثمانُ بن عفان عن داره، لمَّا خَذَله أعوانُه وأنصارُه وعامَّةُ ثِقاته، وكان ذلك فيما بين الله وبيني، والله بصيرٌ بالعباد، وللظالمين بالمِرصاد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

فلمَّا وقفوا على الورقة عَدَلوا إلى مطالبته بإخراج هارون بن غريب عن بغداد، فأجابهم إلى ذلك، وقلَّده [الثغور] الشامية والجزيرة، وخرج من يومه إلى قُطْرَبُّل فأقام بها.

فلمَّا كان يوم الخميس لعشرٍ خلَون من المحرَّم نزل مؤنس والجيش معه وعدلوا

(١) في (خ ف): على عوائدكم كما كنتم، والمثبت من تكملة الطبري ٢٦٠.

كراهية لثغر الجيش[١]، ثم اتَّفقَ مؤنس ونازوك على خَلْع المقتدر.

ولمَّا كان يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلةً خلت من المحرَّم خرج مؤنس دفعةً ثانية إلى الشَّمَّاسِيَّة، وخرج معه أبو الهيجاء ونازوك وجميعُ القواد والجيوش، فلمَّا كان يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت منه بعد صلاة الجمعة جاؤوا إلى دار الخليفة، فهرب المُظَفَّر بن ياقوت الحاجب وجميعُ الحُجَّاب، والحَشَمُ والخدمُ، والوزيرُ ابن مُقْلَة، ودخل مؤنس من باب الميدان، ونازوك من باب الخاصة، وأبو الهيجاء من باب العامة، وأحرق صافي البصريُّ بابَ الزاوية ودخل منه، وحصل الجيش كلُّه في دار الخليفة.

فلمَّا كان بعد العشاء بساعة أُخرج المقتدر ووالدته وخالته وحُرَمه وجواريه من الدار، وأُصْعِد بهم إلى دار مؤنس، ودخل هارون من قُطْرَبُّل إلى بغداد فاستتر بها.

وأحضروا محمد بن المعتضد من الحريم من دار ابن طاهر وكان محبوساً بها، والموكَّل عليه كافور أبو الحجاج، فوصل محمد إلى دار السلطان في الثُّلُث الأخير من ليلة السبت نصف المحرم، وسُلِّم عليه بالخلافة، وبايعوه، ولُقِّب القاهر بالله.

وأطلق مؤنس [عليَّ بن عيسى من دار السلطان][٢] فمضى إلى منزله وكان محبوساً، فأحضر أبا علي بن مقلة[٣]، وقلَّده الوزارة للقاهر، وقلَّد نازوك الحِجبة مضافاً إلى ما كان بيده من شرطة بغداد، وأضاف إلى أبي الهيجاء ولايةَ حُلْوَان والدِّيْنَوَر وهَمَذان ونَهاوَند وغيرها، مع ما كان بيده من المَوصل والجزيرة ومَيَّافارِقين.

ووقع النَّهبُ في دار السلطان وبغداد، وكان لأمِّ المقتدر بالرُّصافة ستُّ مئة ألف دينار فأُخذت، وحُملت إلى دار الخليفة.

وخُلع المقتدرُ يوم السبت منتصف المحرم، وأَشهد على نفسه بالخَلْع القضاةَ، وسُلِّم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، فسلَّمه القاضي إلى ابنه أبي

---

(١) كذا ؟! وفي (ف) بعدها: وأرجف شديدة، وفي تاريخ الإسلام ٧/ ٢١٨ : ودخل في عاشر محرم مؤنس والجيش، فأرجف بالمقتدر أراجيف شديدة. وانظر تكملة الطبري ٢٦٠-٢٦١ ، والكامل ٨/ ٢٠١ .

(٢) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٢٦١ .

(٣) الذي أحضره هو مؤنس كما في تكملة الطبري.

الحسين وقال له: يا بُنيّ، احفظ هذا الكتاب واستُره، ولا يقف عليه أحدٌ من خلق الله تعالى غيرك، فقال له: فما الفائدةُ في كتمانه وقد علم به الخلق؟! فقال له أبوه: وما الفائدةُ في إظهاره، ومن أين تعلمُ ما يكون؟

فلمَّا أُعيد المقتدرُ إلى الخلافة بعد يومين دخل القاضي أبو عمر عليه، فسلَّم إليه الكتاب من يده إلى يده، وحلف له أنَّه ما رآه أحدٌ من خلق الله غيرُه وغيرُ ولده، فحَسُن مَوقعُ ذلك من المقتدر.

وانصرف الناس من دار السلطان يوم السبت، ولمَّا كان يوم الأحد [حضر] بين يديه[1] الوزير ابنُ مُقْلَة، وكتب إلى البلاد والعمَّال بتقليد القاهر الخلافةَ كتاباً، منه بعد حمد الله تعالى: وقد اختصَّ أمير المؤمنين القاهر بالله محمد بن المعتضد بالخلافة، وأفضى إليه بالإمامة؛ لكماله، وشريفِ أفعاله، وكبيرِ فضائله، وعظيم رأفته ... وذكر كلاماً آخر.

وتقدَّم نازوك إلى الرَّجالة ـ ويُسمَّون المصافيَّة ـ بقلْع خيمهم من دار السلطان، وأمر رَجَّالته بأن يقيموا مكان المصافية، فاضطربت المصافية من ذلك، وتقدَّم إلى خلفاء الحُجَّاب والبوَّابين أن لا يَدخل دار السلطان إلَّا مَن كانت[2] له مَرتبة، فاضطرب الحُجَرية من ذلك وتكلَّموا فيه.

فلمَّا كان يوم الإثنين سابع عشر المحرَّم بكَّر الناسُ إلى دار السلطان؛ لأنَّه يومُ موكبٍ ودولة جديدةٍ، فامتلأت الدهاليزُ والرِّحابُ وشاطئ دجلة منهم، وحضر الرَّجَّالة المصافية بالسلاح يطلبون مالَ البيعة ورزقَ سنة، ولم ينحدر مؤنس في ذلك اليوم إلى دار السلطان، وارتفعت أصواتُ المصافية، فخاف نازوك، فوقع بينهم وبين أصحابه قتال، فبعث إلى أصحابه أن لا يعرضوا لهم، فزاد الشَّغَب من المصافية، وفتحوا الدَّهاليز يريدون الصَّحْن التِّسعينيّ، فلم يمنعهم أحدٌ لما كان من تَقدُّمِ نازوك لأصحابه.

(١) يعني بين يدي القاهر كما في المنتظم ١٣/ ٢٨٠ وما بين معكوفين منه.

(٢) في (خ ف): دار السلطان وإذا رجالته بأن يقيمون... وتقدم إلى خلفاء الحجاب والبوابين... أنه من كانت، والمثبت من الكامل ٨/ ٢٠٢-٢٠٣ ، وتكملة الطبري ٢٦١ .

وكان القاهرُ جالساً في التِّسعيني وابنُ مُقْلَة بين يديه ونازوك وأبو الهَيجاء، فبعث نازوك إليهم يُخوِّفُهم ـ وكان مَخموراً قد شرب طول ليلته ـ فقام إلى الرَّوْشَن، فلمَّا رأوه أسرعوا إليه فهرب منهم، فطمعوا فيه فتبعوه، فانتهى به الهَرَب إلى بابٍ كان قد سدَّه أمس ذلك اليوم بالآجرِّ والجصّ، فلم يُمكنه النُّفوذ فيه، فلَحقوه فقتلوه، وقد كانوا قتلوا قبله خادمَه عجيباً، وصاحوا للمقتدر: يا منصور، فتهارب كلُّ مَن في دار السلطان: الوزيرُ والحُجَّابُ والجُندُ وسائرُ الناس، حتى بقيت الدَّار والشُّطوط والمَمرَّات خاليةً، وصاروا إلى دار مؤنس يطلبون المقتدرَ ليَرُدُّوه إلى الخلافة، وبادر الخدم فأغلقوا باب دار السلطان، وكانوا جميعهم خدمَ المقتدر وحاشيتَه.

وأراد أبو الهيجاء الخروجَ، فتعلَّق به القاهر وقال له: يا أبا الهيجاء، تُخلِّيني وتخرج؟ فتداخلَتْه الحَميَّةُ والأَنَفَة فقال: لا والله. ورجع معه، فوجد الأبواب مُغلقةً، فقال له أبو الهيجاء: امضِ فوالله لا أُفارقك أو أقتل دونك. فمضيا حتى دخلا الفردوسَ، وخرجا إلى الرَّحبة التي يُسلَك منها إلى باب النُّوبي، ونزع أبو الهيجاء سَوادَه ومِنْطَقتَه ودفعها إلى غلامٍ له، وأخذ جُبَّتَه وكانت من صوف، وركب فرسه وانصرف، ووقف القاهرُ مع خدمٍ له، وعاد إليه ابن حمدان فقال للقاهر: قُتِل نازوك وثارت العامَّةُ من جانبي بغداد. وسُدَّتْ على أبي الهيجاء والقاهر المَسالك، فقال أبو الهيجاء: هذا أمرٌ من السماء، فارجع بنا إلى الدار، فدخلا من الفردوس، وجعل مَن معهما من الخدم يتسلَّلون أوَّلاً أولاً.

وبقي من خدم المقتدر جماعةٌ فجرَّدوا السيوف، ورآهم أبو الهيجاء فرهقهم فوقفوا، ثم رجع القَهْقَرى، فدخل في بيتٍ من ساجٍ مُفرَداً، وجاء خماجور ـ أحدُ الغلمان الأكابر الحُجْرية ـ فقال للخدم يُحرشونه حتى يخرج[1]، فشتموه، فغضب وخرج كالجمل الهائج وصاح: يالَتغلب، أأُقْتَل بين الحيطان؟ أين الكُمَيتُ؟ أين الدّهماءُ؟ فرماه خماجور بسهم فأصاب ثَدْيَه، وأتبعه بآخر فأصاب تَرْقُوَتَه، ورماه بثالث فشكَّ فَخِذَيه، فضرب أبو الهيجاء الذي شكَّ فخذيه فقطعه، وجذب السَّهم الذي أصاب ثديه

(١) انظر صلة الطبري ١٢٤ ، وتكملته ٢٦٢ ، والكامل ٨/ ٢٠٥ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢١٩ .

فانتزعه ورمى به، وكان مع خماجور أسودان فبادرا إليه، فحَزَّ أحدهما رأسه، فانتزعه خادمٌ منه ومضى به يريد المقتدر.

وكان الرجال قد حملوا المقتدرَ على أعناقهم من دار مؤنس إلى قصر الخلافة، فلمَّا دخل قال: ما فعل أبو الهيجاء؟ قيل: هو في دار الأبرجة[1] في بيت السَّاج، فقال: عليَّ بدَواة وبَيْضاء لأكتبَ له أماناً قبل أن يَحدثَ به حادث، فأبطؤوا عليه، وجاء الخادم برأسه إلى المقتدر فقال: مَن قتله؟ قالوا: لا ندري.

فاسترجع المقتدرُ وجعل يُكرِّرها ويقول: ما كان يدخلُ عليَّ في دار مؤنس في هذه الأيام ويُسلِّيني سواه، هذا مع ما لأهله علينا من الحقوق السَّالفة، وظهر عليه من الكآبة أمرٌ عظيم، فبينا هو على ذلك سمع ضجَّةً عظيمة، وجاءه خادمٌ يعدو فقال: هذا محمد قد أُخذ يعني القاهر.

وجيء به فأُجلس بين يديه، فاستدناه وقبَّل جَبينه وقال له: يا أخي، أنت والله لا ذنبَ لك، قد علمتُ أنَّك قُهرتَ على أمرك، والقاهر يبكي ويقول: اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين في نفسي، فقال: والله وحقِّ رسوله لا جَرى عليك منِّي سوءٌ أبداً، ولا وصل إليك أحدٌ بمكروه وأنا حيٌّ، فطِبْ نفساً ولا تجزع، والليلةَ أُوصلكَ إلى منزلك.

وكان الرَّجالة لما انتهوا إلى مؤنس وصاحوا قال مؤنس: ما الذي تُريدون؟ قالوا: الخليفةَ، فقال: سلِّموه إليهم، فحملوه إلى داره، وأُخرجَ رأسُ نازوك ورأسُ أبي الهيجاء، وشُهِرا في شوارع بغداد، ونُودي عليهما: هذا جزاء مَن عصى مولاه وكَفر نعمتَه.

وسكن الهَيْج، وعاد أبو علي بن مُقلة إلى وزارته، وكتب كتاباً عن المقتدر برجوعه إلى الخلافة إلى أهل المشرق والمغرب.

وقال الصولي: سعى مؤنس ونازوك في خلع المقتدر، ثم عاد مؤنس إلى نُصرته والذبِّ عنه لأنَّه استمالَه، واستمال نازوكاً فلم يرجع، وعزم على الفَتْك بالمقتدر، وجاء في الفُرسان والرَّجَّالة، وقصد دار الخليفة فنَهبها، وهتَك الحَريم، ومَحا رُسومَ

(١) في تكملة الطبري ٢٦٢ : سأل عن أبي الهيجاء فقيل له: هو في الأترجة.

الخلافة، ونهب من الخزائن والجواهر والكتب والأمتعة ما لا يُحصى، وجالَت الخيلُ في المجالس والقصور، ونُهبت بغداد طول الليل.

ثم طلَبَ الرَّجالةُ من نازوك مالَ البيعة فلم يُعطهم شيئاً، فثاروا به، وقالوا للمقتدر: يا منصور، وقصدوا نازوكاً، فدخل هو وغلامُه عجيب بيتاً في التِّسعيني بدار الخلافة لا مَنفذَ له، فدخل خلفه سعيد ومُظَفَّر من شُطَّار بغداد، فقتلوه وقتلوا غلامَه، وصلبوهما على دَقَلٍ، ونهبوا دورَه.

وقيل: إنَّ الرَّجالة تواطؤوا مع مؤنس على قتل نازوك؛ لأنَّه كان قد استولى على بغداد.

ثم دخل مؤنس على المقتدر وسلَّم عليه بالخلافة، وبايعه بيعةً جديدة، وفعل القوَّادُ والقضاة والخواصُّ ذلك، وركب المقتدرُ في طيَّار، ورآه الناسُ، فخاطَبَهم مُخاطبةً جميلةً، ووعدهم، وضَمِن لهم كلَّ ما أرادوا، فرضوا وسكنوا.

وقال محمود الأصبهاني: لمَّا علم المقتدرُ أنَّهم خالِعوه صَرف العساكرَ عن بابه، وجمع أمَّه وخالتَه والقَهرمانة وحُرَمه في مكان، وجلس على سريره، ونشر المصحف بين يديه، وجعله في حِجْره وقال: أنا فاعل ما فعل عثمان بن عفان رضوان الله عليه، ولا أسلِّم حقًّا خَصَّني اللهُ به، ولا أنزعُ قميصاً ألبسني الحقُّ إياه، فلمَّا بلغهم سكنُوا.

ثم أصبح نازوك إلى مؤنس، فأخرجه كُرْهاً من داره وكان قد غلب عليه، واجتمع القوَّادُ وأبو الهيجاء، وأتَوا إلى دار الخلافة وهي مُغلقة، فأحرقوا بابَها، ودخلوها ـ وكانوا خمسين ألفاً ما بين فارسٍ وراجل ـ فنهبوها، وأخذ مؤنس المقتدرَ وأمَّه وأهلَه، وبعث بهم إلى داره، وبايعوا القاهر.

ثم ثارت الرَّجالة بعد يومين، وقتلوا نازوك وابنَ حمدان، قتلهما سعيد والمظفَّر، وأجلسوا المقتدرَ في الخلافة، فأحسن إلى الرَّجالة المصافية والفرسان وغيرهم، حتى نَفِدت الأموالُ من الخزائن، وبيعت الأمتعةُ والثيابُ والعقاراتُ والضِّياعُ، ودُفع الجميعُ إلى الجند.

وكان عليُّ بن عيسى إذا دخل على ابن مُقْلَة قام له، وأكرمَه، وأجلَسه معه في دَسْته،

فدخل عليه يوماً وهو يبيعُ الضياع بأوكَس ثمنٍ فقال: ما هذا؟ فقال: هذه ضِياع بخْتَيْشوع المُتَطبِّب، اشتراها ببضع عشرة ألف ألف درهم، آلَ أمرُها أن تُباعَ بالثَّمن اليَسير[١].

قال ثابت بن سنان: وكان قد وصل إلى بختيشوع في مدَّة خدمته للرشيد ـ وهي عشرون سنة ـ ستَّةٌ وخمسون ألف درهم، وفي رواية سبعةٌ وسبعون ألف درهم من الرشيد والبرامكة.

وظهر هارون بن غريب، ودخل[٢] على مؤنس وسلَّم عليه، وقُلِّد الجبل، وخرج إلى عمله في صفر.

وقلَّد المقتدرُ إبراهيم ومحمد ابنَي رائق الشرطةَ ببغداد، والمظفَّر بن ياقوت الحَجَبة، وكان بفارس، فقدم ودخل على المقتدر فخلع عليه فطوَّقَه وسوَّره.

وفي رجب ماتت ثملُ القَهْرَمانة.

وفي شوال قَبض المقتدرُ على أبي أحمد بن المكتفي واعتقلَه في دار الخلافة؛ لأنَّه بلغه أنَّ جماعةً سَعَوا له في الخلافة، وحُبسوا أيضاً.

قال ثابت: بَذْرَقَ المقتدرُ الحاجَّ[٣] في هذه السنة مع منصور الدَّيْلَمي، ووصلوا مكة سالمين، فوافاهم أبو طاهر القِرمطي يومَ التَّروية، فقتل الحاجَّ في المسجد الحرام قَتْلاً ذَريعاً، وفي فِجاج مكة، وفي البيت، واقتلَعَ الحجرَ الأسود، وقلع قُبَّة زَمْزَم، وقتل ابنَ محارب أمير مكة، وعَرَّى البيت، وقلع بابه، وأَصعَدَ رجلاً من أصحابه ليقلَع الميزاب فوقع الرجل على رأسه فمات، وأخذ أموالَ الناس، وطرح القتلى في بئر زمزم، وانصرف إلى بلده هَجَر، وحمل معه الحجر الأسود.

وقال محمود الأصفهاني: كان الناس يطوفون حول البيت والسُّيوف تأخُذُهم، وامتلأت فِجاجُ مكة من القتلى، ودخل رجلٌ من القرامطة وهو راكبٌ سكران، وبيده

(١) انظر تكملة الطبري ٢٦٣ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢١٩ .

(٢) في (خ ف): وخلع، والمثبت من تاريخ الإسلام ٧/ ٢١٩ .

(٣) سيَّر معهم حارساً وخفيراً.

سيفٌ مَسلول، فصَفَر لفرسه عند البيت فبال، وقتل جماعة، ثم ضرب الحَجَر الأسود بدَبُّوس فكسره وقلَعه.

وأقام القرمطيُّ بمكة أحد عشر يوماً، وبقي حول البيت ثلاثُ مئة جِيْفَة، وقُتلَت جماعةٌ من الأعيان.

وقيل: إنه حُمِل إلى هَجَر فهَلَك تحته أربعون جَمَلاً، فلمَّا أُعيدَ إلى مكة حُمِل على قَعود هَزيل فَسَمِن، وكان بحكم التركي قد دفع فيه خمسين ألف دينار، فلم يَردُّوه وقالوا: أخذناه بأمر وما نردُّه إلا بأمر.

وقال عبد الله بن أحمد بن عَيَّاش القاضي: أخبرني بعضُ أصحابنا أنَّه كان بمكة، وأنَّ الذي ضرب الحَجَر وقلعه صاح: يا حمير، أنتم قلتم: ومَن دخله كان آمناً، فأين الأمنُ وقد فعلْنا ما فعلنا؟! فأخذْتُ بلجام فرسه، وتيقَّنتُ القتلَ، وقلتُ له: اسمع، إنَّ الله تعالى أراد: ومَن دخله فأَمِّنوه. وتوقَّعتُ أن يقتلَني، فلوى رأسَ فرسه وخرج ولم يكلِّمني.

وقد غلط السِّمْناني فقال في تاريخه[1]: الذي قلع الحجرَ أبو سعيد الجَنَّابي، وحمله إلى الكوفة، وعلَّقه في الأُسْطُوانة السابعة ممَّا يلي صحنَ الجامع من الجانب الغربي، اعتقاداً منه أنَّه يَنقلُ الحجَّ إلى الكوفة.

قال: ثم قصد أبو سعيد نهرَ الملك في خمس مئة فارس، فجهَّز إليه المقتدرُ ابنَ أبي السَّاج في ثلاثين ألفاً، فتقاتلا وبينهما النَّهر، فاستقلَّ ابنُ أبي السَّاج عَسكرَ القرمطي، وأمره المقتدرُ بقطع الجسر فلم يفعل.

وكان ابنُ أبي الساج قبلَ ذلك بزمان قد نزل على أبي سعيد فأكرمه، فأرسل إليه يقول: لك عليَّ حقٌّ قديم، وأنت في قِلَّة وأنا في كثرة، والمَصلحة أن تَنصرفَ سالماً.

فلمَّا دخل الرسول على القرمطي وأدَّى الرسالة قال له: كم مع صاحبك؟ قال: ثلاثون ألفاً، فقال: ما معه ولا ثلاثة، ثم دعا بعبدٍ أسود وقال له: خرِّق بَطْنَك بهذه السّكين، ففعل، وقال لآخر: غَرِّق نفسَك في هذا النهر، ففعل، وقال لآخر: اصعد على هذا الحائط وأَلْقِ نفسَك على رأسك، ففعل، ثم قال للرسول: إنْ كان معه مَن يفعل مثل هذا وإلا فما معه أحدٌ.

---

(١) نقله عنه الذهبي في تاريخ الإسلام ٧/ ٢٢١، والسير ١٥/ ٣٢٢.

وكان على باب خيمة القرمطي كلبٌ مربوط في سلسلة، فقال: كأنِّي غداً بصاحبك مربوطٌ مع هذا الكلب، فطلب منه الرسولُ أماناً له ولكلِّ مَن لجأ إليه فأعطاه.

فلمَّا كان وقت المغرب عبر القرمطيُّ النَّهرَ، والتقَوا عند الفجر، فهزمه القرمطي، وأخذ ابنَ أبي السَّاج فربطَهُ مع الكلب في سلسلة.

وجاء فنزل غربيَّ بغداد، وأفنى خلقاً عظيماً، وباع الحَجَرَ للمقتدر بثلاثين ألف دينار، وأشهد جماعةً من أهل الكوفة على رسول المقتدر أنَّه قد سلَّمه إليه، منهم: عبد الله بن عُلَيم المحدِّث، فقال أبو سعيد للجماعة: من أين علمتُم أنَّ هذا هو الحَجَرُ الأسود، لعلَّنا أحضرْنا حَجَراً من البرية وقلنا: هو هذا؟ ـ وكان قد انكسر ـ فقال ابن عُلَيم: لنا فيه علامةٌ، فقال: وما هي؟ فقال: حدثنا فلان، عن فلان ورفعه إلى النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الحَجَرُ الأسود يُحشَرُ يوم القيامة وله عينان يَنظُر بهما، ولسانٌ يتكلَّم به، يَشهدُ لمَن اسْتَلَمَهُ بالإيمان والنِّفاق، وأنَّه حجرٌ يطفو على رأس الماء، ولا يحترق بالنار»[1].

قال: فأحضر القرمطيُّ طَشتاً فيه ماء، فألقاه فيه، فطَفا على رأس الماء، ثم أحضر ناراً وألقاه فيها فلم يحترق، فعجب القرمطيُّ وقال: هذا دينٌ مضبوط، ثمَّ ردَّ المقتدرُ الحَجَرَ إلى مكة.

وهذا غلط فإنَّ أبا سعيد هَلَك سنة إحدى وثلاث مئة، وابن أبي السَّاج جهَّزُه المقتدرُ سنة خمس عشرة وثلاث مئة إلى أبي طاهر، والحديث الذي رواه ابن عُليم لا يصح.

وفيها توفي

إبراهيم بن نَصْر الكِرْماني

أحد الأبدال[2].

كان مُقيماً بجبل لبنان، قال ابن عساكر: قال محمد بن مانك[3] السِّجِسْتاني:

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وقد أخرج أحمد (٢٢١٥)، والترمذي (٩٦١)، وابن ماجه (٢٩٤٤)، وابن خزيمة (٢٧٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي هذا الحجر يوم القيامة له عينان يُبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد لمن استلمه بحقّ».

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٥٥٤ (مخطوط).

(٣) في (خ ف): فاتك، والمثبت من تاريخ دمشق.

خرجتُ من دمشق مع جماعة إلى جبل لبنان نَلْتمسُ مَن فيه من العُبَّاد، فمشينا ثلاثةَ أيام فلم نجد أحداً، فجلسنا تحت شجرة، ومضى أصحابي يَطلبون أحداً من الزهَّاد، فنمتُ، فلمَّا طلع الفجرُ نزلتُ إلى الوادي أطلبُ الماء، وإذا بعين صغيرة تخرجُ من كهف، فتوضَّأتُ وصلَّيتُ، وسمعتُ صوتَ قراءةٍ فقَصَدتُه، وإذا بكهفٍ في جانب الجبل، فدخلتُه وفيه مَغارة، وإذا بشيخٍ ضَرير جالس، فسلَّمتُ عليه فقال: إنسيٌّ أم جنِّيٌّ؟ قلتُ: إنسي، فقال: لا إله إلا الله، ما رأيتُ إنسيًّا منذ ثلاثين سنة غيرَك.

قال: وكنتُ مَتْعوباً، فنمتُ في جانب الكهف، فلمَّا جاء وقتُ الظهر أيقظَني، فخرجتُ فتوضَّأتُ وصليتُ معه، ودعا وقال: اللهم ارحَم أمةَ محمدٍ ﷺ وأصلحهم وفرِّج عنهم.

فلمَّا صلينا العشاء الآخرة قال: تأكل؟ قلتُ: نعم، قال: قم فادخل المَغارةَ، فدخلتُ، فوجدتُ أنواعَ الفاكهة: زبيباً، وجوزاً، وتفاحاً، وفستقاً، وحبَّةَ الخضراء، وكلُّ صِنْفٍ مَعزولٌ ناحيةً، وإذا بثلاثة قبور مُصْطَفَّة، فتقدَّمتُ وأكلتُ، ثم خرجتُ فقلتُ: من أين هذه الفاكهة؟ فقال: سوف ترى، وإذا بطائرٍ قد أقبل، وله جناحان أبيضان وصدره أخضر، وفي مِنقاره حَبَّةُ زَبيب، وفي رجليه جَوزة، فدخل فوضع الزَّبيبةَ على الزَّبيب والجَوزةَ على الجوز، قال: أرأيت؟ قلت: نعم، قال: هذا قوتي منذُ ثلاثين سنة.

قال: وعليه ثوبٌ من التَّوَّز بغير كُمَّين، فقلتُ: مَن يأتيك بهذا؟ قال: الطائر، وعنده مِسَلَّةٌ يَخيطُه بها.

فلمَّا كان في الليل دخل علينا سبعةُ أنفسٍ، ثيابُهم شُعورهم، وعيونُهم مُشَقَّقة حُمر، فخفتُ منهم فقال: لا تخف، هؤلاء الجن، فقرأ عليه واحد سورة طه، وآخر سورة الفرقان، وآخر سورة الرحمن، وتلقَّن بعضهم، ومضوا.

فقلتُ: كم لك هاهنا؟ فقال: أربعين سنةً، أقمتُ منها عشرَ سنين أَجني المُباحَ، فذهب بصري منذ ثلاثين سنة، فقيَّضَ الله لي هذا الطائر يحملُ ما ترى.

ثم قال: أخبرني هؤلاء القوم ـ يعني الجنَّ ـ أنَّ القرمطيَّ دخل مكة فقتل الحاجَّ قَتْلاً ذَريعاً وفعل وفعل، وكان ذلك في سنة سبع عشرة وثلاث مئة، فقلتُ: قد كثُرَ دُعاء

الناس عليهم، فلم مُنعوا الإجابة؟ فقال: منعهم من ذلك خصال: أقرُّوا بالله وتركوا أمرَه، وقالوا: نؤمن بالرُّسُل وخالفوا شَرْعَه[١]، وقرؤوا القرآن ولم يعملوا به، وقالوا: نحبُّ الجنةَ وتركوا طريقها، وقالوا: نكره النارَ وسلكوا طريقها، وقالوا: إبليسُ عدوُّنا ووافقوه، ودفنوا موتاهم ولم يَعتبروا، واشتغلوا بعيوب الناس وتركوا عيوبَ أنفسهم، وجمعوا المالَ ونَسُوا يوم الحساب، ونقضوا القبورَ وزيَّنوا القصور[٢].

قال: فأقمتُ عنده أياماً، فقال لي: حدِّثني كيف وصلتَ إلى هاهنا؟ فحدثتُه، فقال: أخطأتَ حيث فارقتَ أصحابك، وتركتَ قلوبَهم متعلِّقةً بك، ارجع إليهم، فقلتُ: ما أعرفُ الطريق، فقال: قم، فقمتُ وقام معي، فخرجنا وإذا بسبُعٍ واقف على باب الكهف فقال: لا تخف واتْبَعْه، وإذا حججْتَ فاطلُب بين المقام وزمزم رجلاً أشقرَ خفيفَ العارِضَين، فسَلْه أن يدعو لك فإنَّك تنتفعُ بدعائه.

ثم فارقتُه والسبع يمشي بين يدي إلى عَقَبة دمشق فغاب عنِّي.

ودخلتُ دمشق، فأتيتُ أصحابي ففرحوا بي وقالوا: شغلتَ قلوبَنا، فأخبرتُهم خبري، فقالوا: قوموا بنا، فخرجنا من دمشق نحو عشرين رجلاً إلى لبنان، فأقمنا أياماً نطوف فلم نَقَع على المَغارة، فقالوا: هذا شيءٌ كُشِفَ لك دوننا فرجعنا.

وخرجتُ إلى الحجِّ، وقصدتُ بين الركن والمقام وزمزم، وإذا بذلك الشخص الذي وصفه جالسٌ، فسلَّمتُ عليه فردَّ عليَّ السلام، فقلت: إبراهيم الكرماني يُسلِّم عليك، قال: وأين رأيتَه؟ قلت: في مغارة لبنان، قال: إنَّه تُوفيِّ إلى رحمة الله، قلتُ: مات؟ قال: نعم، قلتُ: متى؟ قال: الساعة، دفنَّاه في المغارة عند إخوانه، وكنَّا جماعةً، فلمَّا دفنَّاه إذا بذلك الطائر الذي رأيتَ قد جاء، فما زال يضرب بمِنقاره وجناحَيه الأرض حتى مات، فدفنَّاه تحت رجليه، ثم قال لي: طُفْ بالبيت، فشرعتُ في الطَّواف وغابَ الرجل عنِّي.

---

(١) في تاريخ دمشق ٢/ ٥٥٦ : قالوا نحب الرسول ولم يتبعوا سنته.

(٢) في تاريخ دمشق: وبنوا القصور.

أحمد بن الحسين

أبو سعيد، البَرْدَعيُّ[١]، الإمام، شيخ الحنفية في زمانه.

دخل بغداد ودخل الجامعَ، فوقف على حَلْقة داود بن علي الظاهري وهو يُناظرُ رجلاً من أصحاب أبي حنيفة، وقد ضعُف الحنفيُّ في يده، فجلس البردعيُّ في حلقته وقال لداود: ما تقول في بيع أُمَّهات الأولاد؟ قال: يجوز، قال: ولم؟ قال: لأنَّا أجمعنا على جواز بَيْعهنَّ قبل العُلوق، فلا نزول عن هذا الإجماع إلا بإجماع مثله، فقال البردعيُّ: أجمعنا على أن بعد العُلوق قبل الوَضْع لا يجوز بيعُهنَّ حتى يضَعْنَ، فلا نزول عن هذا الإجماع إلا بإجماعٍ مثله، فانقطع داود وقال: نَنظر في هذا.

وعزم أبو سعيد على المقام ببغداد والتَّدريس بها لما رأى من غَلَبة أصحاب الظاهر، فلمَّا كان بعد مُديدة رأى في المنام قائلاً يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] فانتبهتُ، وإذا بالباب يُدقُّ وقائلاً يقول: مات داود الظَّاهري، فإن أردتَ أن تُصلي عليه فاحضُر.

وأقام أبو سعيد ببغداد يُدرِّس سنين كثيرةً، فخرج في هذه السنة إلى الحجِّ، فقتلته القرامطةُ وهو يطوف بالبيت.

أحمد بن محمد

ابن أحمد بن حَفص، أبو عمرو، الحِيريّ، النَّيسابوري[٢].

شيخ نَيسابور في عصره في الرِّئاسة والعَدالة والعلم والمال، وكان نبيلاً.

سمع الحديث، وروى عنه العلماء، وتوفي بنيسابور في ذي القعدة رحمه الله.

---

(١) قال القرشي في الجواهر المضية ١/ ١٦٥ : والبردعي؛ بالباء الموحدة وسكون الراء وفتح الدال المهملة وفي آخرها العين المهملة، هذه النسبة إلى بردعة، وهي بلدة من أقصى بلاد أذربيجان. اهـ. قلت: وذكر ياقوت هذه المدينة في الذال المنقوطة ١/ ٣٧٩ وقال: وقد رواه أبو سعد بالدال المهملة، وانظر الأنساب ٢/ ١٣٧ ، ١٤٣ ، وتاريخ بغداد ٥/ ١٦٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣١٦ .

(٢) المنتظم ١٣/ ٢٨٣ ، والسير ١٤/ ٤٩٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣١٧ .

أحمد بن مَهدي بن رُسْتم[١]

كان ذا مالٍ كثير نحو ثلاث مئة ألف درهم، أنفقه كلَّه على العلم، ولم يُعرَف له فراش أربعين سنة.

وقال: جاءتني امرأةٌ ببغداد ليلةً من الليالي، فذكرَت أنَّها من بنات الناس، وقد امتُحِنَت بمِحْنة وقالت: أسألك بالله أن تَستُرني، فقلتُ: وما مِحنتُك؟ قالت: أُكرِهتُ على نفسي وأنا حُبلى، وذكرتُ للناس أنَّك زوجي، وأنِّي حبلى منك، فلا تفضحني واستُرني سترَك الله، فسكتُّ عنها.

ومضت فلم أشعر حتى وَضعت غلاماً، وجاء إمام المَحلَّة وجيرانُ المَحلَّة يُهنِّؤوني بالولد، فأظهرتُ [لهم التَّهَلُّل]، فدفعتُ إلى الإمام دينارين وقلتُ: ادفعهما إلى المرأة فإنَّه سبق منِّي ما فرَّق بيننا، وكنتُ أدفع إليها في كلِّ شهر دينارين على يد الإمام وأقول: هذه نَفَقة ابنك، إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم تُوفِّي المولود، فجاءني الناس يُعزُّونني، فأظهرتُ لهم الرِّضى والتَّسليم، وجاءتني المرأةُ ليلةً بعد شهر ومعها الدَّنانير التي كنتُ أبعث بها، فردَّتْها وبَكَت وقالت: جزاك الله عنِّي خيراً، وسَترك كما سترتَني، فقلت: هذه الدنانير كانت صِلةً للمولود، وهي لك فاعملي بها ما تُريدين.

بدر بن الهَيْثم بن خَلَف

أبو القاسم، اللَّخْمي، القاضي، الكوفي[٢].

نزل بغداد وحدَّث بها، وسمع الحديث وقد مضى من عمره أربعون سنة، وعاش مئةً وسبع عشرة سنة، ومات ببغداد في شوال وحمل إلى الكوفة.

حدث عن أبي كُرَيْب وغيره، وروى عنه ابن شاهين وغيره، وكان ثقةً نبيلاً.

عبد الله بن محمد

ابن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه، أبو القاسم، البَغَويّ، وهو ابن

(١) أخبار أصبهان ١/ ٨٥ ، والمنتظم ١٣/ ٢٨٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٦٠٢ ، والمنتظم ١٣/ ٢٨٥ ، والسير ١٤/ ٥٣٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣١٩ .

بنت أحمد بن مَنيع[1].

قال أحمد بن مَنيع: وُلد ابن ابنتي أبو القاسم يوم الإثنين في رمضان سنة أربع عشرة ومئتين. وقيل: سنة ثلاث عشرة ومئتين ببغداد.

وهو بغويُّ الأصل، وأول ما كتب سنة خمس وعشرين ومئتين، وسافر، ولقي الشيوخَ، وسمع الكثيرَ، وروى عنه الأئمةُ، وتوفي ببغداد ليلة الفطر، ودُفن يوم الفطر بمقبرة باب التِّبْن وله مئةٌ وثلاثُ سنين وشهر واحد وهو صحيحُ الجَوارح والسَّمع والبَصر.

وسمع الإمام أحمد بن حَنبل، ويحيى بن مَعين، وابن المَديني، وعلي بن الجَعْد، وخَلَف بن هشام، وعبد الله بن محمد بن عائشة التَّيْمي، وأبا نَصْر التمَّار، وحاجب بن الوليد، وشَيبان بن فَرُّوخ، وزهير بن حَرْب وغيرهم.

وكان يقول: أحصيتُ المشايخَ الذين لا يروي عنهم اليوم أحدٌ غيري فكانوا سبعةً وثمانين شيخاً.

وقال الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد: لا يُعرف اليوم في الإسلام من يُوازي البغوي في قِدَم السماع؛ فإنَّه توفي سنة سبع عشرة وثلاث مئة، وسمعناه يقول: حدثنا إسحاق بن إسماعيل الطَّالْقاني في سنة خمس وعشرين ومئتين.

وقال الخطيب: سمع البغوي جزءاً على الإمام أحمد بن حنبل وابن مَعين وابن المَديني، فأخذه موسى بن هارون، فألقاه في دجلة وقال: أتُريد أن تَجمع بين الثلاثة الرواية.

وروى عنه يحيى بن محمد بن صاعد، وابن شاذان، وابن شاهين، والدارقطني، وخلقٌ كثير.

وقال الخطيب: اجتاز البغويُّ بنهر طابَق، فسمع مُسْتَملٍ فقال: مَن هذا؟ قالوا: ابنُ صاعد، فقال: ذاك الصبيُّ؟ قالوا: نعم، فقال: والله لا أبرحُ من مَوضعي حتى أُملي

(١) الكامل لابن عدي ٤/ ١٥٧٨، وسؤالات السهمي ٢٣٧، وتاريخ بغداد ١١/ ٣٢٥، والمنتظم ١٣/ ٢٨٦، وميزان الاعتدال (٤٣٣٣)، والسير ١٤/ ٤٤٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٢٣.

ها هنا، فصعد الدِّكَّة وجلس، ورآه المُحدِّثون فقاموا وتركوا ابن صاعد، فقال: حدثنا أحمد بن حنبل الشَّيباني قبل أن يُولَد المحَدِّثون، حدثنا طالوت بن عبَّاد قبل أن يولد المحدثون، حدثنا أبو نصر التمَّار قبل أن يولد المحدثون، فأملى ستة عشر حديثاً عن ستة عشر شيخاً، ما كان في الدنيا مَن يروي عنهم غيره.

واتَّفقوا على صدقه وثقته ودينه ووَرَعه.

سئل عنه موسى بن هارون فقال: ثقةٌ صدوق، لو جاز أن يقال فوق الثقة لقيل له، فقيل له: فإنَّ هؤلاء يتكلَّمون فيه؟! فقال: يحسدونه، ابنُ بنتِ مَنيع لا يقولُ إلا الحقَّ.

وسئل ابن أبي حاتم عنه: أيدخل حديثه في الصحيح؟ قال: نعم.

وقال الدارقطني: كان أبو القاسم ابنُ بنت مَنيع قلَّ ما يتكلَّم على الحديث، فإذا تكلَّم كان كلامُه كالمِسمار في السَّاج.

وعابه ابن عديٍّ وقال: كان وَرَّاقاً[1]. وذلك لا يَقدَح فيه؛ لأنَّه كان يُوَرِّقُ على عمِّه وجدِّه.

عبد الرحمن بن عبد الله بن الزُّبير

أبو بكر، الرُّهاوي[2].

من بيت العلم والفضل، حدَّث عن أبيه وغيره، وروى عنه أبو الحسين وغيره، وكان ثقةً، قتلته القرامطةُ بمكة.

علي بن بابويه الصُّوفي[3]

كان يطوف بالبيت، وهجم القرمطيُّ مكة، فأوقع بالناس في الطَّواف وابن بابويه يطوف، فما قطع طوافَه والسيوفُ تأخُذُه وهو يُنشد يقول: [من البسيط]

تَرى المُحبِّين صَرْعى في ديارهم كفِتيةِ الكهف لا يَدرون كم لَبِثوا

(١) تراجع ابن عدي عن الحطّ عليه، وعطف وأنصف، انظر كلامه في الكامل ٤/ ١٥٧٩، وميزان الاعتدال، والسير ١٤/ ٤٥٥.

(٢) تاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٣، ٣٢٧، والعقد الثمين ٥/ ٣٧٠.

(٣) المنتظم ١٣/ ٢٨١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٣، والعقد الثمين ٦/ ١٤٣.

وهذا من أبيات منها :

والـلـه لـو حَـلَـف الـعُـشَّـاقُ أنَّـهـم سَكرى من البَيْن يومَ البَيْن ما حَنَثوا
قـومٌ إذا هُـجِـروا مـن بـعـد مـا وُصِـلـوا مـاتـوا وإن عـاد مَـن يَـهْـوَوْنـه بُـعِـثـوا

نازوك

صاحبُ شرطة بغداد[١].

كان شُجاعاً، فاتكاً، غَلَب على التَّدبير، وحكم على الدولة، وعلم مؤنس أنَّه متى وافقه على خَلْع المقتدر ازداد تَحكُّمه، فأجابه ظاهراً، وواطأ الرَّجَّالة على قتله، وقد ذكرنا مَقتلَه.

وقال الخطيب[٢]: غضب نازوك على بعض مَماليكه وكان غلاماً حَدَثاً، فخرج من الدار، فمرَّ برجلٍ يَكتبُ كتاب العَطْف، فقال له: إنَّ مولاي قد غضب عليَّ، وما أعرفُ أحداً، وقد دلُّوني عليك، فاكتب لي كتابَ عَطْفٍ.

قال الرجل: فكتبتُ له كتاباً فيه آيةُ الكرسي، والمعوذتين، و﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر السورة [الحشر: ٢١] و﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية [٦٣: الأنفال] ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ثم دفع الورقةَ إلى الغلام وقال: علِّقها في عَضُدك الأيمن، فأخذها ودفع إليه ديناراً.

قال الرجل: فدعوتُ الله أن يَردَّ عليه قلبَ مولاه.

ومضى، فلمَّا كان بعد ساعتين إذا بغلمان نازوك يطلبونني، فأدخلوني عليه وهو في دَسْت عظيم، بين يديه نحوٌ من ثلاث مئة غلام وأكثر سِماطَين، وكاتبُه أبو القاسم جالس، فأهويتُ لأُقبِّلَ الأرض فقال: مَهْ، عافاك الله، هذه من سُنن الجَبَّارين، اجلس لا بأس عليك، فجلستُ، فقال: جاءك اليوم غلامٌ فكتبتَ له كتاباً فيه عطف؟ فقلت:

---

(١) تاريخ دمشق ١٧/ ٤٩٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٣ .

(٢) لا توجد ترجمة لنازوك في تاريخ بغداد، والخبر أخرجه التنوخي في الفرج بعد الشدة ١/ ٢٢٤ عن أحمد بن يوسف الأزرق، عن أبي الحسين بن البواب المقرئ.

نعم، جاءني وبكى وقال: طَردَني مولاي، وما أعرفُ أحداً ألتجئُ إليه، فرقَّ له قلبي وبكيتُ، وكتبتُ له كتاباً فيه آياتٌ من القرآن، فأعطاني هذا الدينار، فقال: قم عافاك الله، هذه الدار وما فيها بحُكمك، ومهما كان لك من الحوائج قضيتُها.

قال: فخرجتُ، وإذا بالغلام واقفٌ ينتظرني، فسألتُه ما الخبر فقال: لما علَّقتُ عليَّ الورقة إذا بالغلمان يطلبونني، فدخلتُ على الأمير فقال لي: أين كنتَ؟ فحدَّثتُه الحديث، فقال: قد رضيتُ عنك، وهذا الرجل شيخٌ صالح، إيش أعطيتَه؟ قلتُ: ديناراً، قال: ما أنصفتَه، أعطِهِ خمس مئة درهم، فأخذتُها. وصار الغلامُ من خواصِّ نازوك.